

## ما الذي يجعل الإسلام السياسي كفرا؟

أن يعالجهما بطول اشتراكية. وبينما أن إسلامك شيء يخصك، فإن حلولك الاجتماعية شيء يخص الآخرين. وعندما تخطب بينهما لتبيع هذا بذلك، فانت تفتاق.

الإسلاميون، من أهل التفاهة ذلك، الذين يرفضون دعوة الفصل بين الإيمان الفردي والإدارة الاجتماعية، يستندون إلى حجة تقول إن الدين، الإسلام خاصة، ليس مجرد دعوة إلى التوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر، لأنه نظام تشريعي ومعاملات تتعلق بمجمل حياة الناس. وهذا حق، ولكنه من نوع الحق الذي لا يُراد به إلا الباطل.

### السياسة التي تتخذ من الدين برهاناً لنفسها، إنما تحوله إلى وجهة نظر وتبرير التناحر فيه، وهذا شيء، والدين شيء آخر

العقائد السياسية، كلها، هي في النهاية اجتهاد فقري أو فلسفي. إنها رؤية محددة لما يفترض أنه الطريق الأصوب لخير المجتمع. انظر في كل العقائد والأيديولوجيات وسترى أنها منطلقاتٌ يحاول أن يضيف على الواقع لونه الخاص. الدين ليس كذلك. القواعد التشريعية في الدين، ليست فيها سياسة. إنها ليست وجهات نظر. الحرام فيها حرام، وهو واضح، وكل الباقي حلال (الأصل في الأشياء الإباحة). ونقطة رأس السطر.

السياسة في الدين إنما تبدأ من التأويل: من تحميل النص ما قد لا يحتمله، أو يُزِيد عليه، أو يخلع عليه معنى آخر، أو يخرج به عن سياقه، أو يعتمد أن يغفل النظر عن دوافعه وأسبابه أو مقاصده القيمية. وهذا شيء، والقواعد التشريعية شيء آخر.

الجماعات السياسية الإسلامية كلها، قاطبة، تفكر الناس، لأنها تظن إليهم من زاوية دون أخرى، ولأنها تحاكمهم وتضع نفسها في موضع الله وتقضي بما تتصوره على ما في قلوبهم.

ولقد رأينا من هذه الجريمة الكثير. ويعرف معظم الناس أنها تناقض نصوصاً صريحة في القرآن الكريم.

أحد أهم وجوه المفارقة، بين الإسلام وبين جماعات السياسة فيه، هي أنه بينما الإيمان شأن فردي، فإن إيمانهم جماعي. وهذا ما يوفر لهم التبرير بأن الخروج على جماعتهم كفر، بما في ذلك جماعات الإسلام السياسي الأخرى. أي أنهم يكفرون الناس، بمقدار ما يكفرون بعضهم بعضاً.

الله لا يحاسب الأمم، ولا الشعوب، ولا المجتمعات، في يوم الحساب. إذ كل يأتي إليه فرداً. بينما هم يحاكمونها جمعاً ويطلقون عليها ما شاعوا من أوصاف التحريم.

النظر إلى الأديان الأخرى، هو نفسه نظراً مسوس بالتكفير. "الدين عند الله الإسلام". ليس كذلك؛ ومعناه هو أن الله لم يرسل إلى البشرية إلا ديناً واحداً. وكل أنبيائه مسلمون. ولكن انظر كيف تم توظيف هذا النص. لقد أصبح المسيحيون واليهود كفاراً، لأنهم ليسوا مسلمين بالمعنى الذي يخصنا نحن. بينما هم، على وجه الحقيقة، مسلمون، كأننا من كان الرسول الذي اتبعوه.

يجرؤ إسلاميو السياسة على أن يكفروا الناس. ذلك جزء طبيعي من مناهجهم. ولكن، ألا تراهم، هم أنفسهم، يكفرون؟ الربط بين الإيمان بدين وبين أي عقيدة سياسية، أو حزب أو جماعة أو تنظيم أو حتى وجهة نظر، إنما يجعل لله موازياً.

يقول إنه هو ما يمثل الدين دون سواه. ولا أن يستخدم الدين في ترويح بضاعته الفكرية. بمعنى ألا يجعل من الله دعاية انتخابية لصالحه. وعندما يخوض السياسي حملته الانتخابية، فمن المعبى أن يستخدم آيات من القرآن، أو أن يذهب إلى الكنيسة ليصلي، من أجل أن يخدع مناصريه، بأن راسماليته، أو اشتراكيته، نازلة في كتاب مبین.

وعندما كان يقال "الدين لله، والوطن للجميع"، فمن أجل القول إنه بينما يمكن للأفراد أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا، فإنهم يفعلون ذلك في العلاقة بينهم وبين ربهم، في حين أن الأوطان يتعين أن تكون في خدمة كل المواطنين، آمنوا أم كفروا على حد السواء، لأنها تنظر إليهم كوحدة اجتماعية، ولأنها تشتغل بكافة مصالح المجتمع، ولا يحق لها أن تميز بين فرد وآخر، على حسب إيمانه، بل حسب التزامه القانون ودفع حصته من الضرائب لخدمة المجتمع الذي يعيش في كنفه. الإيمان جذوة لا يدركها القانون، ولا يحق لأحد أن يحكم فيها على أحد، طالما لم يعرف الإنسان ما في قلب الإنسان الآخر، أو ما إذا كان سيهددي ذات يوم.

الفصل بين الدين والسياسة، هو بالأحرى فصل بين الإيمان الفردي وبين الإدارة الاجتماعية في توجهاتها المختلفة. بمعنى، لا يهم أن كم أنك مسلم أو مسيحي أو يهودي جيد، فهذا شأنك مع ربك، ولكن يهم المجتمع أن يفاضل بين هذا التوجه أو ذلك، وأن يجرب هذا السبيل اليوم، ليحرب سبباً آخر غداً. السياسة هي اختبار للتجارب، ولهذا السبب فإن الانتخاب ضروري للمفاضلة في ما بينها. أما العلاقة مع الله، فإنها ليست موضوعاً للتجارب، ولا للترشيح لمناصب، ولا يصح أن تتم دعوته للمشاركة في الانتخابات.

الأحزاب التي تدعو الله للمشاركة في الانتخابات، وتستخدمه في دعائها الانتخابية، وتبني مظاهر التدين، إنما تستغله لغاياتها الخاصة، وهي تدعيه للتغطية عليها.

بمعنى آخر، صليت أم لم تصل؛ طالت حديثك أم لم تطل، فعليك أن تقول لي: من أين ستأتي بالمال لرفع مستوى الرعاية الصحية، وتطوير التعليم، ومعالجة مشكلات التضخم والبطالة والفقر. وبصراحة، دينك لا يهمني، وصالاتك لا تغنيني، إذا كنت لا تقدم جواباً قانلاً للمسألة والتدقيق على تلك المشكلات.

وإذا حاولت أن تبيع علي صياصك وطول حديثك، من أجل أن أتخلك، فهذا لأنك تستخدم شيئاً لتحقيق آخر. ولأنك تحاول أن تستغني الناس، بما تعرضه من بضاعة لا تقصدها هي بذاتها.

ديك شيء يخصك. وطالما أن عبادتك لا تشفع لأحد يوم الشفاعة، فضعها في ميزانك، ولا تستعرضها للناس استعراض تاجر يبيع بضاعة عليهم. أما المجتمع فله ميزان آخر هو ما تضع فيه من عموم الخير ومراعاة المصالح العامة. ذلك أقرب إلى الدين، من دون أن يكون جزءاً من تجارة خاصة، تميل به في اتجاه سياسي دون آخر.

عندما يكون الفقر مشكلة، وتعالجها بحلول راسمالية، فذلك لا يجعلك مسلماً أكثر أو أقل من ذلك الذي يحاول

علي الصراف  
كاتب عراقي

لنفترض أن الإيمان بدين هو (س)، وأن الإيمان بعقيدة سياسية أو أيديولوجية هو (ص)، وعندما تربط بينهما، فكانت تقيد الأول بالثاني، وهو ما لا يجوز، لكن المعادلة يمكن أن تكون (س) + (ص) = (ع). وأنت تفترض أن (ع) تعني خير البشرية، ولكنك تعرف من الأساس أن (س) مُعامل ثابت. تلك هي طبيعة الإيمان، بينما (ص) مُعامل متغير، فهل يمكن النتيجة في هذه المعادلة أن تكون (ع) على الدوام؟ مستحيل طبعاً. لماذا؟ لأنك تجمع بين شيئين يؤدي كل منهما غرضاً مختلفاً. وعندما يكون الأول ثابتاً، فإن ما يلحق به من الثاني من المتغيرات يؤدي في النهاية إلى تحريك ثابتته، أو تغييره، أو تغيير أغراضه. وهذا ما لا يليق. ولو لجأت إلى أن تستخدم مناهج التكفير ذاتها، فهذا كفر.

هذا هو أحد أهم الأسس التي تستند إليها الدعوة إلى الفصل بين الدين والسياسة.

السياسة أغراض شتى، وهي متنازعة ومتفاوتة ونسبية بطبيعتها، يصح فيها هنا، ما قد لا يصح فيها هناك. وما إن يتم توظيف المعالي فيها، فإنه يُصبح جزءاً من تفاوتها وتنازعها، لتهدب به إلى ما دون جلاله وشموهه ومطلق شأنه.

إذا صح القول إن النسبي يتعين أن يخدم المطلق، فليس للمطلق أن يخدم النسبي. وفي ذلك ما يعني أنه بينما يمكن للسياسة أن تخدم الدين، فليس من شأن الدين أن يخدم السياسة، ولا أن يكون غطاءً أو تبريراً لها، ولا أن يكون مرتبطاً، ارتباطاً جزئياً وشرطياً بها أو بتنظيم من تنظيماتها. وبحسب مناهج التكفير تلك، فهذا "شرك". أي أن تشرك بعقيدة الإيمان إيماناً آخر.

### الفصل بين الدين والسياسة، هو بالأحرى فصل بين الإيمان الفردي وبين الإدارة الاجتماعية في توجهاتها المختلفة

كيف يمكن للسياسة أن تخدم الدين؟ إنها تخدمه عندما تقاربه من ناحية القيم. وبما أن السياسة من شؤون إدارة المصالح الاجتماعية، فكما اقتربت هذه الإدارة من تحقيق القيم العليا للدين (من قبيل العدل والمساواة والتضامن الاجتماعي وصون حقوق الأفراد) فإنها ترفع من شأن الدين من دون أن تدعيه، لكي تحافظ على المسافة الواجبة بينها وبينه. ولهذا السبب، قال رفاة الطهطاوي (1801 - 1873) عندما زار فرنسا، إنه رأى هناك "إسلاماً من دون مسلمين". لقد رأى قيماً ترتقي إلى قيم الدين؛ كل دين، ولكن لماذا لا يمكن للدين أن يخدم السياسة؟

أولاً، لأنها وجهات نظر في تسيير الشؤون الاجتماعية، الاشتراكية، كعلاج لبعض المشكلات، تقول شيئاً على سبيل المثال، بينما تقول الراسمالية شيئاً آخر. وثانياً، لأن الدين إيمان غير قابل للجدل، وهو فردي إلى أبعد الحدود، بينما السياسة فتنازع قابلة للجدل، وهي شأن اجتماعي إلى أبعد الحدود.

وعندما عاد الطهطاوي إلى مصر، ورأى الإسلام بمعناه الاجتماعي غائباً، قال "رأيت مسلمين من دون إسلام". بمعنى أنه رأى أناساً يصومون ويصلون، ولكنه لم ير قيم العدالة والمساواة سائدة في المجتمع.

ولكن هل الفصل بين الدين والسياسة، هو فصل بين المسلمين الأفراد والإسلام الاجتماعي؟

بالقطع لا. "الإسلام الاجتماعي" مثل "الديبقراطية المسيحية"، هو نظام قيم عليا، يتعين على السياسة أن تدير شؤون المجتمع بحيث تقترب منه، بحلول أرضية لمشكلات أرضية. أما السياسة بحد ذاتها، فإنها هذا الطريق أو ذلك أو أي طريق ثالث أو رابع، ولا أحد فيها يحق له أن

## حزب العدالة والتنمية مجرد الجيش التركي من علمانيته

رجال دين برتب عسكرية للإفتاء ونشر تعاليم العبادة بين القوات المسلحة



### اختراق لثوابت العلمانية

بأماكن العبادة وإدارة الشؤون الدينية".

وقامت صحيفة أكيت، بحملة من أجل عودة الضباط الأئمة لفترة طويلة وتصر على أن جميع الجيوش المتقدمة لها موقف مماثل.

ووفقاً للصحيفة المحافظة كان انقلاب عام 2016 التي تقول الحكومة إن أنصار غولن قاموا بها، تم طرد الآلاف من أتباع رجل الدين المنزحل من الجيش، وقام أردوغان بتغيير نظام التعليم العسكري لجعل الضباط الجدد أكثر ميلاً للإسلاميين وأقل ولاء للوهية الكمالية اليمينية السابقة.

وتتابع الصحيفة أنه قد تم حظر هذا المنصب في أعقاب الانقلاب العسكري في 27 مايو 1960، ولكن تم السماح للضباط الأئمة بالمشاركة في التوغل التركي في قبرص عام 1974 للمرة الأخيرة.

وستقوم القوات المسلحة التركية بتعيين الضباط الأئمة كجزء من طلبات 2020 لضباط الخدمة الفعلية المستعان بهم والتي ستستمر حتى 10 ديسمبر.

ويتم شرح واجبات الضباط الأئمة على موقع سلاح الجو على أنها "إعطاء التوجيه الروحي حتى تصل معنويات الموظفين والرعاية الاجتماعية والسعادة إلى المستوى المطلوب، والتعامل مع التعليم الديني وأنشطة العبادة والاحتفالات الدينية، وتنسيق السلطات ذات الصلة لتلبية الاحتياجات المتعلقة

زمن الحرب. وتستمر حكومة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في تطبيق سياساتها المتعلقة بالجيش، وقد سبق أن نقلت وكالة الأناضول خبراً أفادت فيه بأن المحكمة الإدارية العليا في تركيا رفضت طلباً من أحد الأحزاب بتعليق قرار لوزارة الدفاع سمح للعلماء في صفوف القوات المسلحة بارتداء

الحجاب خلال أدائهن الخدمة العسكرية.

المسألة بارترداء الحجاب خلال أدائهن الخدمة العسكرية.

حكومة حزب العدالة والتنمية تعيد تعيين الضباط الأئمة في القوات المسلحة التركية، بعد أن تم حظر هذا المنصب منذ عام 1967، في إشارة واضحة إلى رغبة الرئيس التركي رجب أردوغان في تغيير النظام العسكري وجعله أكثر ميلاً للإسلاميين وأقل ولاء للوهية الكمالية اليمينية السابقة.

إسطنبول - تعمرن حكومة حزب العدالة والتنمية في تجريد الجيش التركي من صفته العلمانية، فبعد حملة التطهير المنظمة التي تعرض لها بحجة الانقلاب المزعوم ضد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في عام 2016، استبدت القوات المسلحة التركية في تجنيد ضباط الدين أو الضباط الأئمة إلى صفوفها.

وذكرت صحيفة يني أكيت المحافظة الموالية للحكومة مؤخراً أن القوات المسلحة التركية ستعيد في تجنيد ضباط أئمة مرة أخرى، بعد أن تم حظر هذا المنصب في عام 1967.

وقالت أكيت إن الضباط الأئمة سيعملون في القوات البرية والجوية والبحرية.

ولم تكن الكمالية ضد الدين خلال تاريخ الجيش التركي الحديث، ولكن ثمة خلوطاً حمراء لم يكن من المتوقع أن ينتهجها المتدينون بشكل قاطع. وقد عمل الضباط الكماليون اليمينيون بشكل جيد مع الأطراف الإسلامية حتى تحت الحكم العسكري بعد

انقلاب عام 1980.

لكن الكمالية اليمينية واجهت أزمة في تسعينيات القرن الماضي عندما أصبح حزب الرفاه الإسلامي أكبر الأحزاب. كان الزخم الديني في البلاد قوياً إلى درجة أنه لم تكن هناك فرصة لإبقائه ضمن الهوامش التي طالب بها الضباط الكماليون اليمينيون. ونتيجة لذلك، أجبر الجيش حزب الرفاه الاجتماعي على ترك الحكومة في عام 1999، لكنه خسر خلال العملية شرعية المحلية والدولية.

وبعد الإسلاميون مثل الرئيس الحالي أردوغان، الذي جاء إلى السلطة رئيساً للوزراء في عام 2003، مع حلفائه في الحركة

السرية لرجل الدين التركي المقيم في الولايات المتحدة فتح الله غولن، في تدمير قاعدة السلطة الكمالية داخل الجيش وشغل

المسألة بارترداء الحجاب خلال أدائهن الخدمة العسكرية.

المسألة بارترداء الحجاب خلال أدائهن الخدمة العسكرية.



دينك شيء يخصك